خطاب التيار الجهادي ومشاكله

قراءة علمية نقدية

نحو التصحيح وسد الثغرات

للشيخ أبي قتادة حفظه الله

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد من شاء من العباد، والصلاة والسلام على إمام الهدى ومصباح الدجى وعلى آله والأصحاب.

ثم أما بعد:

لقد دار نقاش بين تلامذة وأحبة الشيخ أبي قتادة حفظه الله حول الخطاب الدعوي الذي تتبعه جماعات العمل السياسي بشكل عام والجهادي بشكل خاص، وكان محور النقاش حول فشل الجماعات باستنهاض الأمة وتجييشها خلفها في تغيير الواقع. وكان أهم ما جاء في النقاش أن خطاب الجماعات موجه في المقام الأول إلى داخل الجماعة للحفاظ على وجودها بالاحتفاظ بالكادر البشري وتربيته تربية حزبية تصبح الجماعة في مفهومه هي الغاية وليست الوسيلة، وكذلك جماعات العمل السياسي أفرطت في مراعاة العوام كي لا ينفروا عن دعوتها وتستقطبهم حتى تنازلت عن الكثير من الثوابت وأسس التوحيد، وجماعات الجهاد جعلت مرتكز خطابها التوحيد، لكنها فشلت في صياغة خطاب دعوي يتضمن دفع الصائل والأخذ على أيدي الظالم تسقطب به العوام وتدخلهم في المنهج الجهادي لتحقق تغيير الواقع.
وكان شبه إجماع بين الإخوة على وجوب نقد الذات والعمل على تصحيح الخطاب الدعوي وإيجاد صيغة تستقطب العوام ولا تكون خالية من التوحيد أو التفريط فيه.
وقد لامس شيخنا العلامة حفظه الله وعيا في النقاش ومستفزا له حتى ينثر القليل من درره المكنونة في صدره، التي لا يخرجها إلا نباهة التلميذ والمحاور.

يقول الشيخ أبو قتادة حفظه الله حول الخطاب أو

مفتاح الصراع :
سأتكلم لإخواني عن أهم مسألة يدور حولها الخطاب اليوم وأنتم قد خضتم فيه بوعي أحسدكم عليه حقا، وهي ما يسمى في علم التغيير: بمفتاح الصراع.
هناك مشكلة دوما في التاريخ البشري بين المثالية والواقعية.
وهنا في داخلنا اليوم بين التوحيد باعتباره تجريدا علميا ونفسيا وبين حياة المسلمين وظروفهم ومشاكلهم، وهذه ثنائية موجودة بسبب الإرث التاريخي للإرجاء.
وإن كانت كلمة الإرجاء لدي صارت من أبغض ما أتحدث عنه لما حملت من آثام هي بريئة منه.
ومن أصعب ما يعانيه أصحاب الدعوات الأخلاقية ومنها التوحيد باعتباره خلقا عند علماء الاجتماع والتصوف، هو وجود اقتران بين دعوة الخلق الى التوحيد وبين الحقوق التي يطال بها المسلمون.
أي بين الحق باعتباره حقا ربانيا وبين الحق في كونه وجودا بشريا.
وأنتم لا تعانون من هذا الفصام.
لكنكم كلكم تعيشون من الخوف أن يهزمكم العامي الذي لا يعي وعيكم.
أنتم جعلتم التوحيد تجريدا في أنفسكم وعملا في واقعكم باعتباره ثورة على المظالم كلها لكنكم خفتم أن لا يلحققكم الناس بهذا الاقتران.
وهنا دخلتكم الفوبيااي الخوف والرهاب.
هذه واحدة.
ثانيًا: أخفقتم في طريقة البيان؛ أي بم نبدأ به.
تيار يقول بالتوحيد فقط....
وتيار يبحث عن مفتاح صراع أرضي...
هذه لا علاقة لها بالتصور لكن لها علاقة بحكمة الجهاد والحياة.
وأنتم تعرفون أن ابن لادن لم يكن من تيار الجهاد بمفهومه الخاص عند بعضهم وقد التحق بجهاد الافغان من باب إسلامي عريض يتعلق بالحقوق.
وتأتي عبقرية الرجل أنه سحب التيار الجهادي عملا لمواقع بشرية إسلامية كعداء أمريكا.
أنا أعرف خطاب التيار الجهادي قبل ابن لادن ويصوره طرفان :سيد إمام ،وخطاب التيار الجهادي عموما.
والشيخ الحكيم الظواهري حالة فريدة في هذا التيار حيث كانت كلمة فلسطين تسبق أي كلام عن الجهاد نزولاً لعالم الناس.
هذا ما يعنيه هذا الكلام
إذاً، المشكلة أننا لم نستطع صوغ خطاب لتوحيدنا.
أمام النبي صلى الله عليه وسلم الأصنام

هذه حالة مفهومة
ولها ارتباط مادي عميق، كما جاء في قول الله تعالى: " وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"
﴿القصص: ٥٧﴾

موسى عليه السلام جاء بالتوحيد، فأنزله لواقعه كما جاء في قوله تعالى: " فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ "﴿طه: ٤٧﴾

أنتم تعانون من الخطاب وليس من التصور، وهذه مفهومة لأن التيار الجهادي لم يعتن بسبب ظروفه بإنتاج علمي يوازن حركته العلمية الموروثة من المدرسية السلفية تنزل من هذا الخطاب الى واقع الناس وهمومهم من خلال التوحيد الحق.

لقد دخلت فينا مساقات الآخرين، حتى وضعنا في مناهجنا توحيد الاسماء والصفات، أقصد في المنهج الجهادي، وهذابسبب محاولتنا الدخول من حالة علمية سائدة أو بسبب خوفنا من اتهام بالخروج عن منهج السلف في قتالنا لطوائف الردة، وهي تهمة كان السلفية المعاصرة تشتد في اتهامنا بها أننا لسنا عليها.
وكأن هذا ما هو أرضي لنا بعد التوحيد بمفهومه الأول، وهو ولا شك تخلف عن وضع الجهاد في اطاره الملائم له ارضيا.
أقول وكأن هذا هو ما قدرنا عليه
ولا بأس ونحن هنا أن ننقد لنعالج
وأنا أرى أن أكثر الحركات اليوم فتحا لباب النقد هو التيار الجهادي وشكرا لبركات " الغلاة ".

إذاً، المشكلة ليست في التصور كما قلت لكن في الخطاب...
هذا لا يبرؤنا من أن فينا وأقصد بالعمل الاسلامي عموما شبه التكفير للآخر بمجرد الخلاف العلمي.
كذلك هذا لا يبرؤنا أن فينا من لا يقيم للتوحيد أهمية في حركته عند الإبتداء ويريد تأجيله.
كلاهما عندي وأنا عندي أمراضي أنه فاسد
هذه مشاكل علمية خطأ
لكن المشكلة الأكبر عندنا أننا لم نستطع فهم ديننا في هذا الباب بوضوح وهنا أقصد الكثيرين من العاملين للإسلام وبالتالي أنتج غمامة من تقديم الخطاب بسبب هذا حينا وبسبب الجهل بأساليب الخطاب العلم للجهاد عندنا في هذا التيار .

المسألة بسيطة: هذه أمة مسلمة فيها ضعف وخطابنا لها خطاب المسلمين نرفع درجة وعيها من خلال التسليك، وأقصد بالتسليك ما قصدته الصوفية من أتباعها، وذلك بإدخال الأمة معنا في سلك التسليك عن طريق خطاب الله للصحابة، كما في قوله تعالى: " أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" ﴿التوبة: ١٣﴾
هل غاب التوحيد هنا ؟
وهل الصحابة رضي الله عنهم لا يقيمون شأنا للتوحيد حتى يحرضهم على قتال غيرهم بغيره ؟
"وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ".

والتسليك أن تأتي بالرجل لجوعه ثم ترفعه لوعيه، الإنسان يحس بالماديات أكثر من المثاليات، هكذا يقول سلفنا ومنهم الجرجاني في أساس البلاغة ففي التوحيد: لو لم يكن هناك أصنام لم يفهم معناه
والتنظيمات الفلسطينية اليسارية أحضرت الناس من أجل فلسطين ثم رفعتهم ليكونوا يساريين واشتراكيين وشيوعيين.

إذاً، هو خطاب وعي، وأنتم تعلمون لظني الحسن بكم أن من الإبداع العظيم في تاريخ الحياة هو الخطاب، وليس الفعل فقط، التيار الجهادي في وقت من الأوقات سُرق لخطاب الوعظ، وأدخل في قضايا علمية ليست من مهمته، وعجزه عن تقديم خطاب خاص جعله يستعير معارك السلفيين لإنه انتسب إليهم بقوله سلفية جهادية.
ليس خطاب جماعة الصحوة كما سميتموهم هو الصحيح، لأنكم اعتبرتموهم خاضوا في مشاكل الناس ولامسوا حياتهم، لأن هذا الخطاب وهذا التيار في الحقيقة خطاب بلا مشاكل داخلية.
وإن وجدت مشاكله الداخلية فهي ليست على مستوى مشاكلنا وارتفاع درجة مصادمتنا للجاهلية فهو لم يحمل السلاح ويصادم الطاغوت ، ولم يفقد ابناءه وجل قادته في الحروب والمعارك، ولم يلاحق كما لوحق ابناء تيار الجهاد، وهو مع ذلك يعاني من سوء التحاق الناس به مثلنا ، كما يعاني أنه لم ينتج شهداء أو مستعدين للشهادة من مستمعيه وأتباعه، ولذلك تخلى عن السلفية هو كذلك، والأمثلة عندكم.
الآن تواجهنا مشكلة السلفية وأنها بوضعها العلمي تمنع التمدد والانتشار وتحقيق الأهداف، هذه مسألة من داخل المشكلة، فهي ليست أصلية فينا لكنها داخلة علينا، وذلك أننا أقمنا الاعتبار للتوحيد

الذي تهتم به ، وهي التوحيد الكلامي لا التوحيد القرآني، والتوحيد الذي يصنع المشاكل في داخل الصف المسلم لا التوحيد الذي يصادم الجاهلية، وهذا توحيد الخاصة لا توحيد الأمة، ومن هنا تشكلت مشكلة الخطاب في بعض الظروف، لكن لما رأينا أن الجهاد يتماهى مع قضايا الأمة ، وقد أحست هي بذلك كانت الجموع تلحق به، وللأسف إن طائفة الغلو تجد تعاطفا بسبب نظر الآخرين لها أنها تمثل قضاياهم أمام الزنادقة، وأنها المدافع عنهم، إلا أن انحطاطهم الفكري والمنهجي والسنني يأبى عليهم الشعور بهذا التعاطف واستغلاله، فلذلك لا تنفك جماعة الغلو من ضرب هذا الشعور والاستهزاء به ومصادمته.
إذاً، ما نحتاجه الوعي على مفاتيح الصراع المعاصرة لاستغلالها ، ثم وضعها ضمن قضية التعبد لرب العالمين، وفهمهما أنها جزء من توحيد المسلم لربه، ثم أن تعلم صوغ هذا بخطاب إسلامي يلامس الشعور والحس لأمتنا، هذا والله أعلم

جزاكم الله خيرا على صبركم الطيب، والسلام عليكم.

وجزاك الله شيخنا خير الجزاء وحفظك ورعاك وعلى الحق سدد خطاك.

اعتنى به وقام على نشره: أبو محمود الفلسطيني